

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[14] التكبر والتعصب في الأرض وعمل على التصدي للقدرة الإلهية المطلقة من موقع العناد واللجاجة: "فَعَدُّوْهُ" إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَافُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْمُعَصَبِيَّةِ وَنَزَعَ إِمَامَ رِدَاءِ الْجَبَرِيَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَرُّزِ، وَخَلَعَ قِنْدَاعَ التَّذَلُّلِ" (1). وبسبب هذه الحالة الدنيئة والفعل الدنيء فإنَّ إِيَّاهُ تعالى قد جعل الشيطان ذليلاً وألبسه لباس الهوان والحقارة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة: "إِلَّا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ إِيَّاهُ بِتَكْبَرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَذَرُّفِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا، وَآعَدَهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا" (2). والخلاصة أنَّه كلما تدبَّرنا في قصة إبليس وافرازات التكبر والغرور فإننا نستجلي دقائق مهمة وكثيرة عن أخطار التكبر والاستكبار. -- "الآية الثالثة" تتحرك حول استعراض قصة نوح أول أنبياء أُولِي الْعِزْمِ وصاحب الشريعة، هذه القصة توضح لنا أنَّ المصدر الأساسي للكفر وعناد قوم نوح مع نبيِّهم يمتد إلى حيث صفة التكبر والاستكبار. فعندما نقرأ الشكوى التي تقدَّم بها نوح إلى إِيَّاهُ تعالى من قومه نجد أنَّه يؤكد على هذه المسألة وهي أنَّ مخالفتهم نابعة من شِدَّةِ استكبارهم حيث تقول الآية: (وَإِنِّي كُلًّا مَادَّةً وَدَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْحَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَسُوا وَاسْتَكْبَرُوا) (3). فهنا نرى أيضاً أنَّ التكبر ورؤية الذات من موقع الغرور والعجب والتفوق على الآخرين يمثل منبع الكفر والعناد مع الحق. لقد كان تكبرهم إلى درجة أنَّهم لم يتحملوا حتَّى سماع كلام الحقِّ والذي يمكن أن يؤثر في تنبُّههم وإيقاظهم من ضلالهم ولذلك كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ويستغشون¹. نهج البلاغة، الخطبة 192، 2. المصدر السابق، 3. سورة نوح، الآية 7.